

دور المرأة في تكوين المشهد الجمالي في الشعر الجاهلي "نماذج مختارة"
The role of women in the formation of the aesthetic landscape in
ignorant poetry "Selected models"

الباحث: هديل محمد عبد الرزاق الحيارى

Hadeel mohammad abdulrazaq alhiary

طالبة دكتورالية: الجامعة الأردنية- المملكة الأردنية الهاشمية

Hadeelhiary90@gmail.com

ORCID iD Link : <https://orcid.org/0009-0004-3548-5076>

الطالب: ثائر محمد العوادي، طالب دراسات عليا- الجامعة الأردنية

Thaer mohammad alawadi

thaeralawadi98@gmail.com

ORCID iD Link : <https://orcid.org/0009-0003-5324-0470>

تاريخ الاستقبال: 2025 / 05 / 14	تاريخ القبول: 2025/06/22	تاريخ النشر: 2025/06/30
---------------------------------	--------------------------	-------------------------

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الصور الرمزية للأنثوية في الشعر العربي الجاهلي من خلال التحليل النوعي، مع التركيز على العلاقة بين الشكل الأدبي والمحتوى الرمزي عبر التركيب السردى والنحوي. وتسعى الدراسة إلى فهم كيفية تأثير السياق الثقافي والاجتماعي في تشكيل الصور الأنثوية في النصوص الشعرية الجاهلية. باستخدام الأدوات التحليلية المختلفة، تم تحليل الرموز الأنثوية في الشعر العربي القديم، مع دراسة البنية اللغوية والنحوية للجمل والكلمات. من خلال مقارنة هذه الصور مع

المؤلف المرسل: هديل محمد عبد الرزاق الحيارى

الأدبيات اللاحقة، توصلت الدراسة إلى نتائج حول تطور تمثيلات الأنثوية وتنوع رموزها، مما يقدم فهماً أعمق لكيفية انعكاس الصورة الأنثوية في الشعر الجاهلي على الفكر الاجتماعي والسياسي في تلك الحقبة. الكلمات المفتاحية: صورة المرأة؛ الشعر الجاهلي؛ الجمال الأنثوي؛ السياق الثقافي؛ الصورة الرمزية.

Abstract:

This study aims to analyze the symbolic representations of femininity in pre-Islamic Arabic poetry through a semiotic analytical approach, focusing on the relationship between literary form and symbolic content across narrative and syntactic structures. The study seeks to understand how cultural and social contexts shaped feminine images in pre-Islamic poetic texts. Using various semiotic tools, the feminine symbols in ancient Arabic poetry are analyzed, alongside the linguistic and syntactic structures of words and phrases. By comparing these images with subsequent literary works, the study concludes with findings on the evolution of representations of femininity and the diversity of its symbols, offering a deeper understanding of how the feminine image in pre-Islamic poetry reflects the social and political thought of that era.

Keywords: woman's image; ignorant poetry ; feminine beauty ; cultural context

مقدمة:

لدراسة الشعر الجاهلي أهمية كبرى، تتمثل في كونه الحجر الأساس الذي قام عليه الشعر العربي؛ فهو المرحلة التي تجلّت فيها العبقرية العربية الخالصة، فإذا عدنا إلى المؤلفات النقدية القديمة وجدنا مؤلفيها قد صوروا هذه العبقرية وهذا الإبداع، فاتخذوا من أسسه الفنية معياراً لتقييم إبداعات الشعراء.

تحتل المرأة على مر الفترات التاريخية مكانة متميزة في وجدان الشعراء العرب، لطالما كانت رمز الحب والجمال والعذوبة، فهي الأم والأخت والحبوبة، وهذه الصفات ذُكرت في الشعر الجاهلي بأعذب الأوصاف وأرقها، إذ تفنن الشعراء بوصفها، ومنهم من كان غزله عذرياً، ومنهم من كان ماجناً، فبين لوعة

دور المرأة في تكوين المشهد الجمالي في الشعر الجاهلي "نماذج مختارة"

وهجاء ، وسعادة وشقاء ، استحوذت النساء على قلوب وألباب الشعراء ، الذين راحوا يطلقون العنان لأقلامهم لترسم صوراً بديعة الحسن حيناً ، ومغرفة في المعاناة والوحشة أحياناً .

وقد احتلت المرأة في الشعر الجاهلي مكانة متميزة حتى إنه كان من الشائع أن ينتسب الأفراد إلى أمهاتهم ، وقد أسموا آلهتهم الجاهلية بأسماء الأنثى كعلامة على الإخصاب والخير . كانت المرأة وقتها موضع الحب والشوق والوجد والهوى إلى الحد الذي استهوى البعض لأن يفنى فيها . فقد سئل أعرابي : ممن أنت ؟ " فقال أنا من قوم إذا أحبوا ماتوا ، فقالت جارية سمعته : عذري ورب الكعبة ، أي أنه من قبيلة بني عذرة الذين عرفوا بولعهم الشديد وحبهم للنساء ، حتى إنه لم ير في هؤلاء القوم من مات في حب والديه أو ابنه أو بيته أو ماله ، كما كانوا يموتون من عشق النساء ، وقد كانت هذه الحالة شائعة عند العرب في ذلك العصر .

في هذه الدراسة "دور المرأة في تكوين المشهد الجمالي في الشعر الجاهلي" درست فيه بعض النماذج الشعرية لشعراء العصر الجاهلي والتي كان للمرأة فيها دوراً بارزاً ، لأهميتها ومكانتها في المجتمع آنذاك ، فهي إحدى وأهم مصادر إلهام الشاعر .

أهمية الدراسة

تتجلى أهمية هذه الدراسة في كشف الأبعاد الجمالية التي أسهمت المرأة الجاهلية في صياغتها ضمن المنظومة الشعرية لتلك المرحلة ، بوصفها رمزاً ملهماً وفاعلاً ثقافياً يتجاوز التصورات النمطية التي حُصرت فيها . كما تكتسب هذه الدراسة أهميتها من سعيها إلى إعادة الاعتبار لحضور المرأة بوصفها قوة تشكيلية للمخيال الشعري الجاهلي ، إذ لم تكن مجرد موضوع للرثاء أو الغزل ، بل كانت حافزاً لتحولات شعرية ولغوية أسهمت في إنتاج بنية جمالية مركبة . ومن ثم ، فإن هذه الدراسة تسدّ فراغاً معرفياً في حقل الدراسات الأدبية التي لم تولِ هذا الجانب عناية كافية ، وتفتح أفقاً للتأمل في علاقة الأدب بالأنثوي من زاوية سيميائية وجمالية .

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة هذه الدراسة في التساؤل عن كيفية تمثّل المرأة الجاهلية في الشعر بوصفها عنصراً مكوّناً للمشهد الجمالي، لا بوصفها مجرد متلقٍ سلبي أو موضوعاً للغرض الشعري. كما تتمثل المشكلة في غياب المقاربات التي تعالج حضور المرأة من منظور جمالي شامل، يتجاوز التناول الموضوعاتي التقليدي، ويكشف عن دورها البنيوي في تشكيل الصورة، والإيقاع، والدلالة، والمخيال العام للنصوص الشعرية الجاهلية. وهو ما يدعو إلى إعادة قراءة هذه النصوص باستراتيجيات تحليلية أكثر عمقاً وتماهياً مع خصوصيات المرحلة وسياقاتها الثقافية.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

- الكشف عن تمثيلات المرأة الجمالية في الشعر الجاهلي.
- إبراز دور المرأة في تشكيل الصور الشعرية والبُنى الجمالية داخل النصوص.
- تحليل أثر المرأة في تحفيز الشاعر الجاهلي على الإبداع والتجديد.
- إعادة تأويل العلاقة بين الشاعر والمرأة من منظور جمالي لا مجرد عاطفي أو اجتماعي.
- المساهمة في إثراء حقل الدراسات الجمالية النسوية في الشعر العربي القديم.
- تفعيل مقاربات تحليلية حديثة في قراءة الشعر الجاهلي.

فرضية الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أن المرأة في الشعر الجاهلي لم تكن مجرد موضوع جمالي طارئ، بل كانت فاعلاً جوهرياً في إنتاج الجماليات الشعرية، من خلال حضورها الرمزي، ووظيفتها التشكيلية، ودورها العاطفي والنفسي والاجتماعي في حياة الشاعر، الأمر الذي انعكس على طبيعة البناء الشعري وأسلوبه وصوره ومضامينه.

أسئلة الدراسة

دور المرأة في تكوين المشهد الجمالي في الشعر الجاهلي "نماذج مختارة"

- كيف تمثلت المرأة في الشعر الجاهلي بوصفها عنصراً مكوّناً للمشهد الجمالي؟
- ما الأنساق الجمالية التي ارتبطت بصورة المرأة في النصوص الجاهلية؟
- ما الدور الذي لعبته المرأة في تحفيز الشاعر الجاهلي على الإبداع؟
- هل تعامل الشعراء الجاهليون مع المرأة كموضوع شعري فقط، أم كقوة دافعة للبنية الفنية؟
- كيف تتبدّى العلاقة بين الجمال الأنثوي والجمال الشعري في نصوص المرحلة؟
- إلى أي مدى يمكن اعتبار المرأة وسيطاً ثقافياً في إنتاج القيم الجمالية في الشعر الجاهلي؟

الدراسات السابقة

يجد الباحث نفسه أمام كم هائل من الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع، أما موضوع الدراسة فلم تجد الباحثة من تناوله بحدود علمها وبحوثها بهذه الصورة، ومن الدراسات السابقة ذات الصلة ما يلي:

- "المرأة في الشعر الجاهلي بين الواقع والأسطورة"، د. عبد الرحمن الشبيلي، نُشرت في مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، العدد (67)، بتاريخ 12 مارس 2009م. تناولت هذه الدراسة تمثّلات المرأة في الشعر الجاهلي بوصفها كائناً يقع بين قطبي القداسة والدينوية، وسعت إلى إبراز الجذور الأسطورية لبعض الصور الأنثوية، مركّزةً على السياق الثقافي والاجتماعي المحيط. غير أن الدراسة لم تنفذ إلى البنية الجمالية للشعر، كما أنها لم تُعالج التحولات الصورية في أغراض الشعر المختلفة.

- "سيمياء الجسد الأنثوي في النصوص الجاهلية"، د. فاطمة بن علي، مجلة الآداب واللغة، جامعة الجزائر 2، العدد (45)، بتاريخ 3 أكتوبر 2015م. اتكأت هذه الدراسة على المنهج السيميائي في تتبع صور الجسد الأنثوي، وركزت على رمزية الأنوثة بوصفها علامة لغوية مشحونة بدلالات القمع والتحرر. ورغم جدة المنهج، فإن الدراسة اقتصرَت على شعر الغزل، ولم تتناول الصورة الأنثوية في غيره من الأغراض كالمديح أو الرثاء أو الفخر.

- "المرأة في الشعر الجاهلي: صورة الآخر في مرايا الذات"، د. ناصر بن محمد الحربي، حولية كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد (70)، بتاريخ 21 يونيو 2012م. سعى الباحث إلى تحليل صورة المرأة بوصفها "الآخر" الذي يتحدد عبر جدلية العلاقة بالذات الشاعرة، محاولاً الكشف عن الوعي الذكوري المتحكم في تشكيلها. بيد أن معالجاته بقيت محصورة في الأطر الأنثروبولوجية والاجتماعية، دون أن تلامس البنية الجمالية للصورة أو ما تنطوي عليه من أبعاد فنية دقيقة.

- "تمثيلات المرأة في الشعر العربي القديم: من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي"، د. فوزية أبو خالد، *المجلة الثقافية، وزارة الإعلام السعودية، العدد (193)، بتاريخ 5 ديسمبر 2018م. قاربت هذه الدراسة تطور صورة المرأة عبر الحقب، مستعرضة التغيرات التي طرأت على موقعها في النصوص الشعرية بفعل التحولات السياسية والدينية. وقد وفرت الدراسة أرضية تاريخية مهمة، إلا أن طابعها السردى وغلبة التعميم قد حالاً دون تقديم تحليل دقيق لتجليات المرأة في البنية الشعرية الجاهلية على وجه الخصوص.

- "الرمز والأنوثة في الشعر العربي الجاهلي"، د. سامية عبد الله، مجلة الدراسات الأدبية، جامعة دمشق، العدد (82)، بتاريخ 9 فبراير 2016م. ركزت هذه الدراسة على دراسة الرموز المرتبطة بالأنوثة في الشعر الجاهلي، متتبعةً كيفية تداخل الرمزية الجمالية والثقافية للمرأة في النصوص الشعرية. وقد سلطت الضوء على الأبعاد المتعددة لهذه الرمزية من خلال فحص الصور المتعلقة بالمرأة في سياقات مغايرة. إلا أن الدراسة لم تتناول تحليل البنية السردية في النصوص، وهو ما يجعلها تفتقر إلى العناية بالفن الأدبي في سياق تقديم الرموز.

- المرأة في الأدب الجاهلي: دراسة سيميائية تحليلية"، د. محمد عيسى، دورية الفنون الأدبية، جامعة الكويت، العدد (107)، بتاريخ 14 سبتمبر 2020م. قامت هذه الدراسة بتوظيف المنهج السيميائي لفحص صورة المرأة في الشعر الجاهلي، متعقبة الرموز اللغوية والدلالات السيميائية التي ترتبط بتجسيد الأنثوية في النصوص الشعرية. تناولت الدراسة أيضاً تفاعل النصوص مع السياقات

دور المرأة في تكوين المشهد الجمالي في الشعر الجاهلي "نماذج مختارة"

الاجتماعية والسياسية التي تحدد صور المرأة. ورغم أن الدراسة كانت دقيقة في تطبيق المنهج السيميائي، إلا أن هناك تهميشاً للبعد النفسي والتاريخي الذي قد يؤثر على فهم دلالات هذه الرموز.

الإضافة العلمية الجديدة

تتمثل الإضافة العلمية الجديدة لهذه الدراسة في تقديم تحليل سيميائي معمق للصور الرمزية المتعلقة بالأنوثة في الشعر العربي الجاهلي، مع التركيز على العلاقة بين الشكل الأدبي والمحتوى الرمزي عبر التركيب السردي والنحوي، وهو ما لم يتم تناوله بشكل كامل في الدراسات السابقة. فبينما تركزت الدراسات السابقة على تحليل الرموز والتوظيفات السيميائية للمرأة، فإن هذه الدراسة تذهب إلى أبعد من ذلك بتطبيق تحليل شامل للبنية السردية والنحوية التي تؤثر في كيفية بناء الصورة الأنثوية في النصوص الشعرية. من خلال هذا النهج، تسعى الدراسة إلى الكشف عن تداخل الأبعاد الثقافية والاجتماعية التي ساهمت في تشكيل هذه الصور، مما يعزز الفهم العميق للطريقة التي استخدمها الشعراء الجاهليون في تصوير الأنثوية، وبالتالي تقديم قيمة جديدة على مستوى المنهجية والتحليل الأدبي.

منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يهدف إلى الكشف عن البنى الرمزية والدلالات العميقة في النصوص الشعرية الجاهلية. سيتم تحليل الصور الرمزية للأنوثة في الشعر العربي القديم باستخدام الأدوات التحليلية المختلفة التي توفر فهماً أعمق لآليات البناء النصي. يشمل ذلك دراسة العلامات والرموز في السياقات الثقافية والاجتماعية التي أنتجت هذه النصوص، وكذلك التعرف على العلاقة بين اللغة والشكل الشعري والمحتوى الرمزي. وتبدأ الدراسة بتحليل النصوص الشعرية المختارة من الشعر الجاهلي، مع التركيز على الأبيات التي تحتوي على رموز أنثوية. سيتم استخدام الأدوات التحليلية المتنوعة لفهم الكيفية التي تساهم بها هذه الرموز في بناء المعنى الشعري، مع تحليل

التركيب النحوي والصرفي للجمل والكلمات المستخدمة، وكذلك العلاقة بين السياق الأدبي والسياق الاجتماعي. علاوة على ذلك، ستنتم مقارنة الصور الرمزية للأنثوية في الشعر الجاهلي مع الأدبيات اللاحقة لفهم تطور هذه الرموز واستخداماتها عبر الزمن. هذا المنهج يسمح بدمج التحليل النصي مع فهم الأبعاد الثقافية والفكرية التي أسهمت في تشكيل الصورة الأدبية للمرأة في الشعر الجاهلي، مما يوفر رؤية شاملة ومتعمقة. من خلال هذه المنهجية، تهدف الدراسة إلى تقديم رؤية جديدة ومختلفة عن تمثيلات الأنثوية في الشعر العربي الجاهلي، من خلال تفاعل اللغة والشكل الرمزي مع البنية الاجتماعية والسياسية السائدة في تلك الحقبة.

خطة الدراسة

فقد اقتضى الموضوع تقسيم البحث إلى ملخص ومقدمة، وخمسة محاور؛ أما المحور الأول فتناولتُ المرأة المحبوبة، لأنها شكلت الجزء الأكبر في أشعار الشعراء في ذلك الوقت، ثم يليها المرأة الزوجة، وكان حظ المرأة الزوجة في الشعر الجاهلي يلي حظ المحبوبة، ثم تأتي المرأة الأم، ثم المرأة المؤثرة وختاناً المرأة الملهمة، ثم خاتمة بينتُ فيها أبرز النتائج التي تم التوصل إليها.

ومن أبرز الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة: تطور أنموذج المرأة لدى الشعراء في العصر الجاهلي، فقدموا نماذج مطولة للمرأة المحبوبة والزوجة والأم، كما أن المرأة لدى الشاعر الجاهلي رمز الحياة، وموقفه منها يرمز إلى موقفه من الحياة كلها، وبذلك حظيت المرأة في الشعر الجاهلي بوصف خاص من نوعه، إذ تحدث عنها كثيراً وذلك نظراً لتعلقه بها وما تتصف به من محاسن، فوصف المفاتن الجسدية لها، كما وصف الخصال المعنوية، وبث العواطف نحوها، والشكوى من هجرانها.

المرأة بالنسبة للشاعر في العصر الجاهلي هي مصدر المتعة والبهجة، بل مصدر للحياة نفسها، بوصفها حبيبةً وزوجةً وأمًّا، فالحبيبة تحصنت بأثواب الكرامة، وألهبت عاطفة الشاعر، والزوجة حفظت زوجها وبيتها، والأم قامت

دور المرأة في تكوين المشهد الجمالي في الشعر الجاهلي "نماذج مختارة"

بتربية أبنائها، وتدير شؤون بيتها، وكانت عنصرًا فعالًا في المجتمع الجاهلي، هذه هي الصورة العامة للمرأة الجاهلية في ذلك العهد.

1- تجليات صورة المرأة

1.1- المرأة المحبوبة:

في صرح الشعر الجاهلي، تتجلى المرأة المحبوبة كرمز للجمال المطلق، ومصدر إلهام خالد، تجسدت فيه كل تجليات العاطفة الإنسانية وتوترات الوجد العميق. فقد كانت هي المبتدأ والخبر، وهي النور الذي يهتدي به الشاعر في صحراء وجوده، وهي الغاية التي يرحل إليها، والذكرى التي يعاني من وطأتها حين الرحيل عنها. لم تكن المرأة عند الشاعر الجاهلي كائنًا هامشيًا أو مكتملًا زينيًا، بل كانت محور القصيدة، وقطب الرchy الذي يدور حوله عالم الشاعر الشعوري، فيغدو الحب من خلالها تجربة وجودية كبرى، تؤسس لوعي الشاعر بالذات والكون.

والشعر هو لغة الحب والعاطفة، وعلى هذا الأساس توجه الشعراء إلى غرض التغزل بالحبيبة وذكر المرأة في شعرهم، فالشاعر الجاهلي أحب الديار لأجل المحبوبة، وكرهها لأجلها أيضًا، واتخذ قرار الرحيل والابتعاد عنها، فالمرأة ألهمته بالمعاني العذبة، وكانت هي الغاية (هاشمي، 1998: 88-91).

وقد كان بعض الشعراء يذكرون المحبوبة أشعارهم ويصفونها وصفًا ماديًا ومعنويًا، أستشهد بالشاعر الفارس عنتر بن شداد العبسي، وهو من قبيلة عبس والمشهور بحبه لابنة عمه عبلة، وقد درج على ذكر عبلة في أشعاره، بعد أن رفض عمه زواجه منها، إذ يقول في إحدى قصائده (عنتر، 1970: 91):

يا عَبْلَ إِنَّ هَؤَالِكَ قَدْ جَارَ الْمَدَى وَأَنَا الْمَعْنَى فَيْكَ مِنْ دُونِ الْوَرَى
يا عَبْلَ حَبُّكَ فِي عِظَامِي مَعَ دَمِي لَمَّا جَرَتْ رُوحِي بِجَسْمِي قَدْ جَرَى (هاشمي، 1998: 88).

عبر الشعر الجاهلي عن الطابع الشخصي للشعراء في تذوقهم الجمال ووقوعهم عليه، ومردُّ ذلك إلى الشعراء، وإلى الحياة التي كانوا يعيشونها، ولكن المعاني المشتركة تستطيع أن تهبنا صورة عن الجمال الكامل في نظر الرجل العربي،

وفي وسعنا عند قراءة النماذج المتعددة أن نصوغ صورة مثلى للفتاة التي كان يحلم بها هؤلاء الشعراء.

يكسو الشاعر الجاهلي حبيبته أزهى الصفات المعنوية وأجل الصفات المادية، فما يمكن أن يكون مقياسا للجمال في ذلك العصر تجده في محبوبه الشاعر، فنجدها في شقها الحسي بيضاء ناصعة، ذات وجه مشرق، وقوام جميل، لا طويلة أو قصيرة، وشعر غزير شديد السواد، وثغر حسن المبسم، وأسنان بيضاء جميلة شديدة البياض، ولى شديدة السواد، وخصر دقيق يكاد ينقسم لدقته (الهاشمي، 1960: 91).

الشعراء الجاهليين حدثونا عن مظاهر الجمال الأنثوي، وعن وقعه على أسماعهم، وأبصارهم، وحواسهم، حديثا فيه استيفاء وإسراف في أكثر الأحيان، ومن أبرع من أحسن الوصف وأجاده هو: امرؤ القيس بن حجر الذي وصل بوصف المرأة مبلغا لم يسبقه إليه سابق، فتدرج في بيان أوصافها الحسية، فينقلك إلى عالم آخر وكأنك ترى ما يصف من شدة براعته، فجعلها كالمنارة التي تضيء، حيث قال (الهاشمي، 1960: 152):

وَكَشَحَ لَطِيفٌ كَالْجَدِيلِ مُخَصَّرٍ	وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُدَّلِّلِ
وَتَضَعِي فَتَيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا	نُؤُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ
وَنَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرَ شَشْنٍ كَأَنَّهُ	أَسَارِيعُ ظُبِّي أَوْ مَسَاوِينُكَ إِسْجَلِ
تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا	مَنَارَةٌ مُمَسَّى رَاهِبٍ مُتَبَيِّلِ

وعندما تتأمل هذا المقطع الوصفي المشبع بأساليب الوصف، الذي يتكون من جملة من اللوحات الوصفية، يأتي التشبيه في قوله (كالجديل مخصر)، فهو يستخدم صورة وصفية حقيقية من الواقع الرعوي كأنبوب سقي، كأنه أساريع ظبي، كأنها منارة، وذلك الجديل قد كمل صنعه، فهي في أبهى منظر، في نعومة ولين، وفي ذلك جذب للرجل، كما يعود مرة أخرى للصورة الوصفية المتجلية في السقي فيشبه ساقها بأنبوب السقي، وفي ذلك كناية عن امتلاء الساق، ما يعني أنها ميسورة مرفهة. ثم الصورة التي يشبه فيها أصابع الموصوفة

دور المرأة في تكوين المشهد الجمالي في الشعر الجاهلي "نماذج مختارة"

الملونة بالحناء وكأنها دود حمراء الرؤوس بيضاء الجسم، أو كمساويك شجرة الأسجل في دقته واستوائه، وتلك كناية عن دقة أصابع المرأة الموصوفة واستوائها، ويأتي التعبير في قوله: "تضيء الظلام بالعشاء" ليؤكد ما سبق ذكره من الوصف، فهي هنا بيضاء صافية شديدة الصفاء حتى كأنها تضيء من شدة بياض وجهها وصفائه، و في قوله (نؤوم الضحى) والذي يفيد غنى صاحبتة عن القيام لشؤونها لوجود من يكفلها ذلك.

أيضاً من الشعراء الذين تحدثوا عن مفاتن المرأة ووصفها تأبط شراً، فيقول (فرحات، 1998: 168):

نِيفُ الْقُرْطِ غَرَاءُ الثَّنَايَا وَرِيدَاءُ الشَّبَابِ وَنِعَمَ حَيْمٍ

ونجد في قصائد عديدة ما يوجد في أبيات عروة بن الورد من تعبير عن مشاعر المحب تجاه حبيبته، مثل (السكيت، 1926: 235):

وَأَنِي لَتَعْرُونِي لَذَكَرَاكِ هَزَّةٌ لَهَا بَيْنَ جُلْدِي وَالْعِظَامِ دَبِيبٌ

بنا من جوى الأحزان والبعد لوعة تكاد لها نفس الشقيق تذوب

لقد وقف الشاعر الجاهلي أمام المرأة وقفة المتبذل العاشق، راسماً لها صورة حسية ومعنوية متكاملة، تعكس المقاييس الجمالية التي كانت سائدة في الوجدان العربي القديم. فالعين ترى، والقلب يصفو، والحرف يتجلى حين يحضر الجمال الأنثوي في أبهى تجلياته. نجد في أبيات عنتر بن شداد مرآة لعاشق نبيل، جعل من عبلة معشوقته الأبدية، تندمج في كيانه اندماج الدم بالعظم، وكأنها سرّ بقاءه ومعنى وجوده. هذا التلاحم بين العاطفة والتعبير يكشف عن عمق التجربة العاطفية التي كان الشاعر يعيشها، لا كتurf شعري، بل كصراع داخلي، وحنين أبدي لا يهدأ.

أما امرؤ القيس، فقد أوصل فنّ الوصف إلى ذروته، حيث مزج بين فخامة التشبيه ودقة الصورة، فحوّل أوصاف المحبوبة إلى أيقونات جمالية تتجاوز الظاهر إلى باطن المعنى، فهي منارة تُضيء، وساقها كأنبوب السقي، وأصابعها كأساريع الظباء. هذه الاستعارات والتشابه لا تُعبر فقط عن فتنة

الجسد، بل عن حالة وجدانية جمالية شاملة، تؤكد قدرة الشاعر على تمثيل الجمال بصور محسوسة ناطقة. وقد أضفى على محبوبته صفات الأنوثة المترفعة، فهي "نؤوم الضحى"، لا تنهض إلا مترفة مدللة، ما يدل على رقيها الاجتماعي والنفسي في نظره.

والمرأة في هذا السياق ليست جسداً فحسب، بل كياناً مشرقاً متكاملًا، يجمع بين الحُسن والرقّة، الكبرياء والعذوبة، القرب والبعد، الحضور والغياب. وقد أبدع الشعراء في استنطاق ملامحها بكل حواسهم، حتى تحوّلت القصائد إلى لوحات حيّة نابضة، حيث يكون الشعر سواداً فاحماً، والثغر بدرًا مضيئًا، والجسد قوامًا متناسقًا يفيض بالنعمة والرقّة.

وما قاله تأبط شرًا أو عروة بن الورد ليس إلا امتدادًا لهذه النزعة العاطفية التي ترى في المرأة المحبوبة سرًّا من أسرار الجمال الإنساني، ومجلّى للحياة ذاتها. فهي حينًا تُذيب قلب الشاعر شوقًا، وتارةً تزلزل كيانه إذا ما ذكّرت له الأيام ببعدها، فكان الشعراء قد رسموا بها صورة أنثوية مثلى، تمثل الحلم، والحنين، والرجاء في آن.

إن المرأة المحبوبة في الشعر الجاهلي ليست مجرد موضوع شعري، بل هي محور تجربة وجدانية وجمالية، تحتشد فيها الصور، وتتفجّر من أجلها اللغة، وترقى فيها المشاعر حتى تبلغ أسمى مراتب التوهج الإنساني

2.1- المرأة الزوجة

كان حظ المرأة الزوجة في الشعر الجاهلي يلي حظ المحبوبة يصور فيها العلاقة والروابط المتينة فيما بينهما، أظهرها الشاعر وهي حريصة على بيتها وسلامته وحفظ ماله، وغالبية الشعر الجاهلي في الزوجة يدل على المكانة قيمة المرأة العالية في نفس زوجها، وكما نعرف أنّ الشعر الجاهلي يصور الحياة تصويراً طبيعياً دون تكلف، فنجد فيه عناية فائقة بالمرأة، فعروة بن الورد من شعراء الصعاليك كان عطوفاً محباً لزوجته يخاطبها قائلاً (عروة، 1926: 31):

ذريني ونفسي أمّ حسانٍ إنّي بها قبل أن لا أملك البيع مُشترى

دور المرأة في تكوين المشهد الجمالي في الشعر الجاهلي "نماذج مختارة"

أَحَادِيثَ تَبْقَى وَالْفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ إِذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً فَوْقَ صَيْرٍ
أما علقمة، فيصف الصفات الكريمة التي تتحلّى بها الزوجة الجاهلية،
فهي أكثر النساء حفظاً لسرّ زوجها في غيابه وإخلاصها وتعلقها به وتمنيها عودته
إذا ابتعد عنها، فيقول (شيخو، 1991: 502):

مُنْعَمَةٌ لَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا عَلَى بَاهٍ مِنْ أَنْ تُزَارَرَ قَيْبُ
إِذَا غَابَ عَنْهَا الْبَعْلُ لَمْ تُفْشِ سِرَّهُ وَتُرْضِي إِيَابَ الْبَعْلِ حِينَ يُوْوِبُ
ونجد بعض الشعراء يصف زوجته وصفاً معنوياً بديعاً، يصور فيه
حياءها وعفتها، يقول الشنفرى (فرحات، 1992: 16).

لَقَدْ أَعْجَبْتَنِي لَا سَقُوطاً قِنَاعُهَا إِذَا مَا مَشَتْ وَلَا بِذَاتٍ تَلْفُتِ
تَحُلُّ بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتَهَا إِذَا مَا بُيُوتٌ بِالْمَذَمَةِ حُلَّتِ
كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيّاً تَقْصُهُ عَلَى أُمَّهَا وَإِنْ تُكَلِّمَكَ تَبَلَّتِ
أُمِيمَةً لَا يُخْزِي نَثَاها حَلِيلَهَا إِذَا ذُكِرَ النِّسْوَانُ عَقَّتْ وَجَلَّتِ
إِذَا هُوَ أَمْسَى أَبَ قُرَّةَ عَيْنِهِ مَأَبَ السَّعِيدِ لَمْ يَسَلْ أَيْنَ ظَلَّتِ
وقيل أنّ هذه الأبيات أجمل ما قيل في عفة المرأة وطهارتها.

إذا كانت المرأة المحبوبة قد شغلت قلب الشاعر الجاهلي فصبَّ عليها أرقّ
صور الهيام والتشبيب، فإن المرأة الزوجة مثّلت له عمق الارتباط الإنساني، وركيزة
السكينة والأمان، وملاذه النفسي حين تشتدّ عليه وطأة الحياة. وقد أولى الشاعر
الجاهلي المرأة الزوجة منزلة لا تقل رفعةً عن مكانة المحبوبة، بل لعلها تتجاوزها في
صور معينة من الصديق العاطفي، والثناء الأخلاقي، وتقدير المشاركة الحياتية.

يكشف شعر الزوجة في العصر الجاهلي عن تصور وجداني عميق
لطبيعة العلاقة الزوجية بوصفها شراكة قائمة على الوفاء، والحنو، والصبر،
وحسن المعاشرة. لم تكن الزوجة مجرد تابع في بيت الرجل، بل كانت موضع ثقته،
ومصدر سكينته، وموضع احترامه، بل أحياناً نافذته الوحيدة إلى معنى الاستقرار
الإنساني في عالم الصحراء الصاخب بالفوضى والغزو والترحال.

وقد أجاد الشاعر الصعلوك عروة بن الورد، وهو المثال الأجل لعطف الرجل على زوجته، إذ رسم من خلال أبياته صورة إنسانية بالغة الصدق لامرأته، فجاء شعره حافلاً بمظاهر التقدير لها، داعياً إياها أن تتركه وشأنه، لا هروباً منها، بل حفاظاً على كرامته ورجولته، واستبقاءً لمودتها التي لا تبلى. ونلمح تداخلاً بين العاطفة والمصير، فالرجل يعترف بفنائه، لكنه يورث لامرأته الحديث عنه، وكأنها ذاكرته الباقية، وصدى اسمه حين تفنى الجموع. أما علقمة بن عبدة، فيضرب أروع المثل في وصف الزوجة الصالحة، تلك التي تحفظ سر زوجها في غيابه، ولا ترضى إلا أن تكون عنوان وفائه ومصدر سعادته، فيصفها بكونها شديدة الحياء، مُصانة لا يُنال حديثها، ذات حيطة وحذر، وأمانة رفيعة. إن هذه الأبيات تشكل وثيقة قيمة تصف جوهر العلاقة الزوجية في نظر الجاهلي: الوفاء، والصيانة، والحضور العاطفي رغم الغياب الجسدي. فالمرأة هنا أمينة على بيتها، وصادقة في مودتها، تنتظر عودة الزوج لا شوقاً جسدياً فحسب، بل شوقاً معنوياً للسكينة والاستئناس.

ويبلغ الوصف الذروي في أبيات الشنفرى، الذي يرسم زوجته في لوحة معنوية لا مثيل لها في الشعر القديم، إذ تتجلى فيها العفة والحياء، والاعتداد بالكرامة، والمكانة الرفيعة. وفي هذه الأبيات تتعانق الصفات النفسية بالجمالية الأخلاقية. فالمرأة تمشي موقرةً، لا تلتفت، لا تخفض الحجاب عن وجهها خفةً، ولا يُذكر اسمها في معرض خزي أو ملام. إنها تمشي في الدنيا كما تمشي المعاني في الأرواح، بنقاء وطهر. هي قُرّة العين، ومرفأ السعادة، وملأذ الرجولة من عناء الحياة.

وهكذا نرى أن صورة المرأة الزوجة في الشعر الجاهلي قد انبثقت من الواقع القبلي، لكنها تجاوزت هذا الواقع لترتقي إلى تمثيل النموذج الأخلاقي للمرأة، لا بوصفها مجرد رفيقة، بل بوصفها العمود الذي تقوم عليه خيمة الحياة. لقد رأى فيها الشاعر الجاهلي سنداً وصوتاً، وأحاطها بإكليل من القداسة الوجدانية، في ملامح شعرية خالدة تؤكد أن العلاقة الزوجية لم تكن في الجاهلية محض نظام اجتماعي، بل كانت مشروع حياة، ومجال محبة، وصيغة إنسانية راقية.

3.1- المرأة الأم

لا تكتمل ملامح المرأة في الشعر الجاهلي دون الوقوف على صورة الأم التي مثّلت محوراً وجدانياً وروحياً عميقاً في وجدان الشاعر العربي القديم. فالأم لم تكن مجرد فاعلٍ في هامش الحياة، بل كانت نبعاً للحنان، وجذراً للهوية، ومصدراً للفخر والسمو الأخلاقي. وقد أحسن الشعراء تصويرها برمز الطبيعة الرقيقة، كالمهابة والظبية، ليُجسّدوا بها أرق معاني الحنان والرعاية والعفة. كما برزت الأم في شعرهم بوصفها منبعاً للنسب الشريف ومقاماً يُباهي به الأبناء، ليجمعوا في صورتها بين الحُسْن الجسدي والسمو القيمي. ومن خلال عدسة الشعر الجاهلي، نطلّ على عالم كانت فيه الأم نواة التكوين، وحارسة الأخلاق، ومرفأ الحنان الأول، ما يجعلها من أبرز ملامح التمثيل الأنثوي في تلك المرحلة من التاريخ الأدبي.

قدم الشعراء الجاهليين نماذج الأمومة تقديمًا رمزيًا أبرزوا فيها قيمة الأم الحانية التي تقوم على رعاية الأطفال، ولها دور كبير في تكوين عادات الطفل وأخلاقه، فالشاعر يشبّها بظبية ترعى الأراك ومعها طفلها، ترعاه وتحنو عليه بلبنها، والظبية هنا مثال للجمال، فيقول عبيد بن الأبرص (الأبرص، د: 62):

وَإِذْ هِيَ حَوْرَاءُ الْمَدَامِغِ طِفْلَةً كَمَثَلِ مِهَابٍ حَرَّةٍ أَمَّ فِرْقِدَ
تُرَاعِي بِهِ نَبْتَ الْخُمَائِلِ بِالضُّحَى وَتَأْوِي بِهِ إِلَى أَرَاكِ وَغَرَقِدَ
وَتَجْعَلُهُ فِي سِرِّهَا نَصَبَ عَيْنِهَا وَتُثْنِي عَلَيْهِ الْجِيدَ فِي كُلِّ مَرَقِدَ
فالمهابة الأم هنا هي التي ترعى الخُمائل وتأوي إلى الأراك، وتجعله نصب عينيها، وتحنو عليه.

وكما افتخروا بنسبهم وأشادوا بأبائهم، أيضاً تباهوا بأمهاتهم وعراقة نسبهن، يقول ربيعة بن عبد في أمه الملقبة بالذبية (الحوبي، 2005: 80):

إِنِّي لَمَنْ أَنْكَرَنِي ابْنُ الذِّبْيَةِ كَرِيمَةً عَفِيفَةً مَنْسُوبَةً
في مدونة الشعر الجاهلي، لم تكن الأم مجرد خلفية اجتماعية في حياة الشاعر، بل حضرت بوصفها كياناً وجدانياً ومعنوياً راسخاً، ونموذجاً أخلاقياً وجمالياً محاطاً بالقداسة والمهابة. تجلّت صورة المرأة الأم في هذا الشعر بوصفها

رمزاً للرحمة، ومصدرًا للدفع الإنساني، وجذرًا أصيلاً في كينونة الإنسان العربي القديم، فقد رأى فيها الشاعر الجاهلي حامية الطفل، ورعاية النشأة، وأصل الصفات والسجيا التي تنتقل إلى الأبناء وتغرس فيهم معاني الشرف، والعفة، والشجاعة.

وفي أرقى الصور الفنية التي عبّرت عن حنان الأمومة، نجد الشاعر عبيد بن الأبرص يرسم مشهداً بالغ العذوبة يشبه فيه الأم بظبية حرّة (مهابة) تحتضن طفلها في خمائل الطبيعة، ترعاه وتحنو عليه، وتحمله نصب عينها في كل تحرّك وسكون. وهذا التصوير الرمزي لا يُبرز فقط الجانب العاطفي للأم، بل يستدعي معاني الجمال الفطري، والأمان الحميمي، والاحتضان الهادئ الذي يوقّره كنف الأم. فالظبية هنا ليست كائنًا بريًا فحسب، بل مثال للجمال والرقّة واليقظة الأمومية المتواصلة، حيث يتحوّل فعل الرعاية إلى فعل حراسة وحب دائمين. وقد تجاوز الشعراء الجانب الحسيّ إلى تمجيد الأصل الأمومي بوصفه مصدرًا للفخر والنسب والكرامة، شأنه شأن الآباء، فالشاعر الجاهلي لم يكن ليستنكف عن ذكر أمه أو نسبها، بل يُفاخر بها حين تكون ذات حسب ونسب وعفة، كما عبّر ربّعة بن عبد مفتخرًا بأمه المسماة الذيبة. في هذا الأبيات السابقة، يتجلى إدراك الشاعر لقيمة الأم في تحديد هويته الاجتماعية والأخلاقية، فالنسب هنا ليس مجرد اتصال سلالي، بل انعكاس للسمو والرفعة، والعفّة والكرم. فالأم ليست فقط من أنجبته، بل من منحته الكرامة الموروثة، والمكانة المجتمعية.

وبين الرمز الطبيعي (كالمهابة) والرمز القيمي (كالكرامة العفيفة)، تتشكل صورة المرأة الأم في الشعر الجاهلي في إطار يجمع بين الرقة والهيبة. فهي الحاضنة والحنونة، وهي أصل النسب ومرّية القيم، وهي من يذكرها الشاعر كما يذكر الأب، ويجعل منها مرآة لما يكون عليه الابن من شهامة أو عفة أو شجاعة. ولا عجب، إذّا، أن يكون الشعر الجاهلي قد حمّلها من المعاني ما يشبه التأليه الرمزي، فرفعها من مجرد دور اجتماعي إلى مقام روحي ووجداني فريد.

دور المرأة في تكوين المشهد الجمالي في الشعر الجاهلي "نماذج مختارة"

وإذا كان الشعر الجاهلي في أغلبه يتجنب المباشرة في الوصف، فإن تصوير الأم جاء غالباً عبر المجاز والاستعارة والمماثلة، مما يؤكد أن مكانتها تتجاوز حدود المؤلف، وتسبح في أفق النموذج والرمز.

وهكذا يمكن القول إن المرأة الأم في الشعر الجاهلي لم تكن مجرد خلفية بيولوجية أو اجتماعية، بل كانت جوهرًا متغلغلًا في نسيج الهوية الجاهلية، حاضرة في العاطفة، وفي السلوك، وفي الوعي الجمعي الذي صاغه الشعراء كلمات خالدة، ظلت شاهدة على عظمة هذا الدور الإنساني العميق.

2- المرأة سيدة التغيير وصانعة الأثر

في الشعر الجاهلي، برزت المرأة المهمة والمؤثرة بوصفها مصدر إلهام وجوهرًا للحياة القبلية، ليس فقط كرمز للجمال والعاطفة، بل ككيان فاعل في تشكيل وعي الشاعر ومجتمعه. فقد كانت الحبيبة في القصائد مطلع الغزل ومركز الحنين، تعكس القيم المثلى للجمال والكرامة والعفة، لكنها في الوقت نفسه قد تتجلى كرمز للقوة والصمود، خاصة حين تكون الأم أو الزوجة أو الأخت التي تحت على الثأر أو تحافظ على الشرف. وقد تغنى بها الشعراء، مثل امرئ القيس وعنترة بن شداد، لا لتجميل القصيدة فحسب، بل لأنها كانت تشكل جزءًا من الذاكرة الشعورية والوجدانية للفرد الجاهلي، فحضورها في الشعر الجاهلي لم يكن هامشيًا، بل كان مرآة لحضورها الحقيقي في الحياة القبلية، المؤثرة في القرار، والمحركة لمشاعر الفخر والانتفاء.

المرأة المهمة هي التي تتجاوز الأدوار التقليدية لتصبح شعلة نضياء دروب من حولها، فهي التي تلهم بفكرها، وتوجه بصبرها، وتغرس في القلوب بذور الأمل والعزيمة. ليست بالضرورة صاحبة شهرة، بل قد تكون تلك الأم التي تبني أجيالًا بالقيم، أو المعلمة التي تفتح نوافذ الوعي، أو الكاتبة التي تزرع الحروف قوة وتحريًا. المهمة هي من تُحدث أثرًا صامدًا لكنه عميق، تترك بصمة في الوجدان، وتوقظ في الآخرين قدراتهم الخاملة، وكأنها نداء خفي يدعو إلى النهوض والارتقاء. هي رمز للتجدد، والاحتواء، والقوة الهادئة التي تُلهم العقول وتحرك القلوب.

1.2- المرأة المؤثرة

يظهر موقف المرأة التي يؤثر رأيها فيمن حولها، وتؤثر به فهم في قصة أسر دريد بن الصمة في يوم اللوى؛ حيث تتمحور أحداث القصة حول أسرته، ورؤية ربيعة بنت جذل زوجة ربيعة بن مكدم له؛ حيث شهدت لدريد بفروسيته ومحايته هلا في ذلك اليوم، فأندشت أبياتها التي أثرت بها على قبيلتها، ونتج عنها أن أطلقوا سراحه وفكوا أسرته حيث قالت (الأندلسي، 1983: 36، 37):

سَنَجْزِي دُرَيْدًا عَنْ رَبِيعَةَ نَعْمَةً وَكُلَّ امْرِئٍ يُجْزَى بِمَا كَانَ قَدَمًا
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا كَانَ خَيْرًا جَزَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا كَانَ شَرًّا مَذَمَّمَا
سَنَجْزِيهِ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ بِصَغِيرَةٍ بِإِعْطَانِهِ الرَّمْحَ الطَّوِيلَ الْمُقَوَّمَا
فَقَدْ أَدْرَكْتَ كَقَاهُ فِينَا جَزَاءَهُ وَأَهْلًا بَأَن يُجْزَى الَّذِي كَانَ أَنْعَمَا
فَلَا تَكْفُرُوهُ حَقَّ نِعْمَاهُ فَيْكُمْ وَلَا تَرْكَبُوا تِلْكَ الَّتِي تَمْلَأُ الْفَمَا
فَلَوْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَضُقْ بَثْوَابَهُ ذِرَاعًا غَنِيًّا كَانَ أَوْ كَانَ مَعْدَمَا
فَفَكُّوا دُرَيْدًا مِنْ إِسَارِ مَخَارِقِ وَلَا تَجْعَلُوا الْبُؤْسَى إِلَى الشَّرِّ سَلَمَا

يتضمن المقطع الشعري السابق مشهداً تأثيرياً لأنثى؛ حيث إن قوة حضورها ترتبها بالقصة التي توردها عن شجاعة دريد في المعركة وحمايته الظعينة، وهي هنا إنما تؤكد فكرة التأثير الأنثوي الذي يسيطر على سير أحداث القصة، فهي حينما امتدحت دريدا أسهمت بإخلاء سبيله؛ وهذا يعني أن أبياتها أثرت بمن حولها، بتلك الأبيات التي وصفت فيها شجاعته، فيكون صوتها قد أدى وظيفة تأثيرية؛ حيث إن قومها قد أطلقوا سراحه بعد تلك الأبيات؛ فصوتها يتضمن نفوذاً وحضوراً قوياً.

لم تقتصر صورة المرأة في الشعر الجاهلي على أدوار وجدانية أو جمالية، بل تجاوزتها أحياناً إلى حضور فاعل ومؤثر في صناعة القرار وتوجيه الحدث، وهو ما يبرز جانباً من سلطة الكلمة الأنثوية حين تُصاغ شعرياً وتُلقى في المواقف المفصلية. وتجسّد ربيعة بنت جذل، زوجة ربيعة بن مكدم، هذا الحضور النوعي من خلال موقفها المؤثر في قصة أسر دريد بن الصمة في يوم اللوى، حين غدا رأيها

دور المرأة في تكوين المشهد الجمالي في الشعر الجاهلي "نماذج مختارة"

الشعري بوابة لتحرير أسير، وصوتها عاملاً في قلب الموازين العسكرية والقبلية. وفي هذه الحكاية، تسجّل ربطة موقفاً إنسانياً وشعرياً بالغ التأثير، إذ لم تكتفِ بالشفاعة لدريد، بل صاغت أبياتاً متماسكة البنية والرسالة، حملت في طياتها من الحكمة والمروءة والوفاء القبلي ما أخرج قومها أخلاقياً، فقادهم نحو اتخاذ قرار إنساني بإطلاق سراحه. هذه الأبيات تمثل لحظة مفصلية يتحوّل فيها الشعر إلى قوة تغيير، وحضور المرأة إلى مصدر قرار. فالشاعرة توظّف البناء الشعري على نحو بلاغي يُزاوج بين الوفاء والعدل، وتستدعي مبدأ المكافأة الأخلاقية: "كل امرئ يُجزى بما قدّم". وهكذا، تتحدث باسم الجماعة وتُناشد ضميرها الجمعي، فلا يكون شعرها انفعالاً فردياً، بل خطاباً موجّهاً للجماعة ذاتها، يحملها مسؤولية الرد بالمثل، ويذكرها بفضل دريد في الحماية، لا سيما حين "أعطى الرمح الطويل المقوّم"، رمز القوة والمنعة.

اللافت أن حضور المرأة هنا ليس عارضاً، بل محورياً في بنية الحدث؛ إذ لم تكن مجرد ناقلة للخبر أو رائية للموقف، بل كانت صانعة له. فبكلماتها تغيّرت نتيجة الأسر، وتحوّلت القصّة من نصر إلى موقف شهيم وانتصارٍ أخلاقي. إنّ الشعر الذي قالت له لم يكن مجرد مدح، بل شعراً مؤسساً لقرار قبلي جمعي، يستند إلى مبدأ الفروسية والعرف والوفاء، وهو ما يدل على إدراكها الدقيق لطبيعة مجتمعها وقيمه، فبنّت خطابها وفق مفاتيح التأثير فيه.

وفي ذلك، يتجلّى أحد أوجه التمثيل الأنثوي النادر في الشعر الجاهلي، حيث لا تكون المرأة موضوعاً للغزل أو الرثاء أو التذكر، بل فاعلة في المشهد، ذات نفوذ نابع من فصاحتها، وحكمتها، وصدق شعورها. وهذا يعكس تماهياً مع روح القبيلة، ويكشف أن المرأة الجاهلية، متى امتلكت البيان والحجة، استطاعت أن تُحدث أثراً يتجاوز التقاليد السائدة، ويعيد تشكيل المعنى والنتيجة.

وهكذا، تتجلى المرأة المؤثرة في الشعر الجاهلي بوصفها صوتاً نافذاً، قادراً على أن يُعيد إنتاج الواقع من خلال الكلمة، وأن يُمارس سلطة غير رسمية لكنها

ذات فاعلية، تتجذر في القيم، وتتسلح بالشعر، ليغدو حضورها مثلاً حياً على تقاطع البلاغة الأنثوية بالسلطة الرمزية.

2.2- المرأة الملهمة

قد يتخطى صوت المرأة حضورها، فتكون عالمة دالة على التأثير القوي في المجتمع الذكوري، ذلك أنها تتمتع بدلالات شعورية قوية تنبئ عن كونها ذات أثر بالغ في حياتهم، بل الملهمة لقولهم الشعر فيها، ويرتبط وجودها بكل معتقداتهم التي تمر في حياتهم الجاهلية التي تكتنز بوجود الرموز الدالة على الحضور الأنثوي، ومن يلتفت إلى المشهد الطللي يلحظ مدى التأثير الذي حدثته المرأة في المكان، وجود المرأة في الحديث عن الطلل إنما هو بمثابة رمز للحياة والخصب، ورحيلها عن الديار هو رحيل الخصب وإعلان صريح لموت الحياة فيها، كأن الشعراء قد ربطوا الخصب بالمرأة أو علقوا حياتهم بها، فتكون المرأة ذات تأثير قوي، يمتد في العنصر الذكوري من خلال استلهامه لها في كل مرة يقف فيها أمام المشهد الطللي (عبد الرحمن، 1998: 128).

ويظل الحضور الأنثوي وارتباطه بالمقدمة الطللية قائماً لا يغيب عن ذهن الشاعر، والأمثلة في الشعر الجاهلي كثيرة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قول الشاعر المرقش الأصغر (الكندي، 1999: 88):

لَابِنَةُ عَجْلَانَ بِالْجَوْرِ سُومُ لَمْ يَتَعَفَّيْنَ وَالْعَهْدُ قَدِيمٌ

لَابِنَةُ عَجْلَانَ إِذْ نَحْنُ مَعاً وَأَيُّ حَالٍ مِنَ الدَّهْرِ تَدُومُ

أَمِنْ دِيَارٍ تَعَفَّى رَسْمُهَا عَيْنُكَ مِنْ رَسْمِهَا بِسَجُومُ

أَضَحَّتْ قِفَاراً وَقَدْ كَانَ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ أَرْيَابُ الْهَجُومِ

يبدأ الشاعر القصيدة بتكرار جملة "لابنة عجلان" محاولاً استقراء المكان من خلالها، باعتبارها الملهم لاستنطاق المكان، وهذا يعني أن الحضور الأنثوي يسيطر على فكر الشاعر، فيحاول إبراز أهمية وجودها؛ فهي إن حضرت حضر الخصب وانبعثت الحياة، وفي رحيلها موت وقفر، فتكون بذلك قد استنطقت الشاعر ليعترف بأهمية وجودها من خلال أبياته الشعرية، ليكون

دور المرأة في تكوين المشهد الجمالي في الشعر الجاهلي "نماذج مختارة"

بذلك المشهد الشعري قد حقق فكرة الحضور الأنثوي وسيطرته عليه؛ حيث إن المقدمات الطللية لا تتحدث عن أطلال الحبيبة، وإنما عن الحبيبة نفسها، فيصف الشاعر ذلك التحول الذي شهده المكان فهو الآن مقفر لا حياة فيه، وارتباط تلك الحياة يقترن عند الشاعر بوجود المرأة ذاتها، ثم يجيء التكرار ليعزز المعنى من ذكرها.

تؤكد هذه الدراسة بتأكيد الدور الحيوي الذي لعبته الصور الرمزية للأنوثة في الشعر العربي الجاهلي في تشكيل التصورات الثقافية والاجتماعية للمرأة في تلك الحقبة. من خلال التحليل السيميائي العميق، أظهرنا أن هذه الصور لا تمثل مجرد انعكاسات سطحية للجمال الأنثوي، بل هي أداة فاعلة في التعبير عن العلاقات الاجتماعية والسياسية السائدة في المجتمع الجاهلي. كما أن الأبعاد الثقافية واللغوية قد أسهمت بشكل كبير في تجسيد المرأة بصورة رمزية تعكس معايير القوة، الجمال، والمكانة الاجتماعية التي كانت تُمنح لها، مما يعكس في الوقت ذاته التفاعلات الاجتماعية والجغرافية التي شكلت هذه التصورات. من خلال استكشاف هذه الصور الرمزية، توصلنا إلى أن الصور الأنثوية في الشعر الجاهلي قد شهدت تطوراً وتنوعاً في تمثيلاتها، متأثرة بالتحولات الثقافية والتاريخية. فقد كانت الرموز المرتبطة بالأنوثة مرآةً للمجتمع الجاهلي، وكشفت عن الصراعات والتوازنات التي كانت قائمة في ذلك الوقت، سواء على مستوى العلاقات بين الأفراد أو في مستوى التفاعلات بين الجنسين. كما تبرز الدراسة أهمية البنية السردية والنحوية في تشكيل هذه الصور، مما يُظهر العلاقة الدقيقة بين اللغة وأدوات السرد، وكيفية استخدامها في بناء معاني أعمق عن المرأة.

توفر هذه الدراسة منظوراً جديداً ومتفرداً لفهم تمثيلات الأنثوية في الشعر العربي الجاهلي، من خلال تسليط الضوء على البنى الرمزية التي أسهمت في تشكيل صورة المرأة في أذهان الشعراء والجمهور على حد سواء. كما تعزز الدراسة من أهمية التحليل السيميائي في فهم النصوص الأدبية القديمة، وتفتح

آفاقاً جديدة للبحث في كيفية تأثير السياق الثقافي والاجتماعي على تشكيل الرموز الأدبية، مما يتيح فرصة لاستكشاف أبعاد أعمق للتراث العربي القديم وتطويره في الدراسات الأدبية الحديثة.

خاتمة

بلغت المرأة مكانة رفيعة في الشعر الجاهلي، وشغلت حيزاً واسعاً من اهتمام شعراء تلك الحقبة من تاريخ الأمة، فلم تكد تخلو قصيدة أو مقطوعة شعرية جاهلية من ذكر المرأة. كما تطور أنموذج المرأة لدى الشعراء في العصر الجاهلي، فقدموا نماذج مطولة للمرأة المحبوبة والزوجة والأم، كما أن المرأة لدى الشاعر الجاهلي رمز الحياة، وموقفه منها يرمز إلى موقفه من الحياة كلها، وبذلك حظيت المرأة في الشعر الجاهلي بوصف خاص من نوعه، إذ تحدث عنها كثيراً وذلك نظراً لتعلقه بها وما تتصف به من محاسن، فوصف المفاتن الجسدية لها، كما وصف الخصال المعنوية، وبث العواطف نحوها، والشكوى من هجرانها.

وقد كانت أغلب قصائد الشعر الجاهلي تدور في إطار الاهتمام بما يمكن تسميته "المرأة الحبيبة" مكتفياً بتصوير الحب المادي والعذري، وتفنن الشعراء في وصف جسد المرأة في أول القصيدة ثم الإسهاب في وصف العذاب والألم الذي سببه العشق للشاعر.

المرأة بالنسبة للشاعر في العصر الجاهلي هي مصدر المتعة والبهجة، بل مصدر للحياة نفسها، بوصفها حبيبةً وزوجةً وأمًّا، فالحبيبة تحصنت بأثواب الكرامة، وألهبت عاطفة الشاعر، والزوجة حفظت زوجها وبيتها، والأم قامت بتربية أبنائها، وتدير شؤون بيتها، وكانت عنصراً فعالاً في المجتمع الجاهلي، هذه هي الصورة العامة للمرأة الجاهلية في ذلك العهد.

المصادر والمراجع

1. الهاشمي، علي، المرأة في الشعر الجاهلي، بغداد، مطبعة المعارف، 1960م.
2. يوسف، حسني، الأدب الجاهلي، مصر الجديدة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2003م.

دور المرأة في تكوين المشهد الجمالي في الشعر الجاهلي "نماذج مختارة"

3. فرحات، يوسف، ديوان الصعاليك، بيروت-لبنان، دار الجيل، ط1، 1992م.
4. الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، ت: عبد المجيد الترحيني، بيروت، ج6، ط1، دار الكتب العلمية، 1983م.
5. الحوفي، أحمد، المرأة في الشعر الجاهلي، مصر- القاهرة، دار نهضة، 2005م.
6. الزوزني، الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، بيروت، دار الجيل، 1972م.
7. ابن السكيت، شرح شعر عروة بن الورد، الجزائر، منشورات كلية الآداب، 1926م.
8. شيخو، لويس، شعراء النصرانية قبل الإسلام، ط4، بيروت، المكتبة الشرقية، 1991م.
9. عبد الرحمن، نصرت، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، عمان، مكتبة الأقصى، 1976م.
10. عبيد بن الأبرص، ديوانه، تحقيق سير شارلس ليال، مصر، دار المعارف.
11. عنتر، الديوان، تحقيق، محمد سعيد مولوى، بيروت، المكتب الإسلامي، 1970م.
12. الكندي، امرؤ القيس بن حجر، الديوان، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، تحقيق الشيخ أبي شنب، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1999م.

Sources and references

1. Al-Andalusi, Ahmed bin Mohammed bin Abd Rabbo, the unique contract, t: Abdul Majid Al-terhini, G6, i,1, Beirut: House of scientific books, 1983.
2. Al-haufi, Ahmed, women in pre-Islamic poetry, Dar nahdat Misr-Cairo.
3. Al-zuzani, al-Husayn ibn Ahmad, explained the Seven Commentaries. House of generation. Beirut. Dr.T. S., 1972.
4. Ibn al-sakit, explaining the poetry of Arwa Ibn al-Ward, publications of the Faculty of Arts, Algeria, 1926.
5. Abdul Rahman, Nusrat, the artistic image in pre-Islamic poetry in the light of modern criticism, Al-Aqsa library, Amman, 1976.
6. Obaid Ibn al-Abir, his diwan, the investigation of Sir Charles Lyall, Dar Al-Maarif-Egypt.
7. Antara, Diwan, investigation, Mohammed said Mawlawi, Islamic Bureau, Beirut, 1970.

8. Al-Kindi, Mr. Al-Qais Ibn Hajar, Diwan, for Abu Al-Hajjaj Yusuf ibn Suleiman Ibn ISA, investigation of Sheikh Abi Shanab-National publishing and distribution company-Algeria.
9. Cheikhou, Louis, the poets of Christianity before Islam, Vol. 4, Oriental Library, Beirut, 1991.
10. Al-Hashimi, Ali, women In pre-Islamic poetry ,Al-Maarif press, Baghdad, 1960.
11. Youssef, Hosny, pre-Islamic literature, al-Mokhtar publishing and distribution Foundation-Heliopolis-Vol.2, 2003.
12. Farhat, Youssef, the court of tramps, Dar Al-Jil, Beirut-Lebanon, Vol. 1, 1992. poetry; feminine beauty; cultural context; avatar.